المظاهر الحضارية للمجتمع الليبي القديم من خلال الآثار المصرية القديمة

Civilizational manifestations of the ancient Libyan society through the ancient Egyptian antiquities

(*)1د.مريم عبد السلامين Meriem Abdesselamyene،

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، abdesselamyene.meriem@gmail.com

تاريخ الاستلام: اليوم /الشهر/السنة تاريخ القبول:30/06/2022

ملخص:

تعتبر النقوش والنصوص المصرية القديمة من فترة ما قبل الأسرات إلى مجيء الإغريق إلى قورينة المصدر الرئيسي الذي تحدث عن الليبيين القدماء في هذه الفترة، فمنذ محاولات الليبيين الأولى لدخول مصر وحروبهم مع الملوك الفراعنة حتى وصولهم للحكم وانشاء أسرات حكمت مصر، نستمد معلوماتنا عن هذا التاريخ من خلال هذه المصادر .

يهدف موضوع البحث الى معرفة درجة التقدم الذي وصل اليه المجتمع الليبي القديم من مظاهر حضارية ومنجزات قاموا بها، وتقديم صورة بسيطة عن حياتهم الاجتماعية الدينية والاقتصادية و غيرها من منجزات فنية.

.

الكلمات الدالة: الليبيون القدماء؛ الاثار المصرية ؛ المنجزات الحضارية ؛ ليبيا القديمة ؛ مصر.

Abstract:

The Egyptian Petroglyph and Text from the pre-dynastic period to the coming of the Greeks to Cyrene, are the main sources that talked about the Libyans during this period. These sources dealt with the first Libyans ‘ attempts to conquer Egypt, and their wars against the Pharaohs until reaching power and establishing ruling families. These

(*) **المؤلف المرسل:** مريم عبد السلامين: abdesselamyene.meriem@gmail.com

documents helped us to know about the religious and cultural level of development they achieved; they provided us also with simple ideas about their social ,economical life and artistic achievements ;Yet they saved us some important information that we will see in this article.
Keywords: Egyptian Antiquities ; Civilizational achievements; Ancient Libya; Egypt.

1. مقدمة:

سجل المصدر المصري أخباره وأخبار جيرانه منذ أن بدأوا بتدوين تاريخهم في فترة فجر التاريخ، وقد زوّدونا بالكثير عن القبائل الليبية التي كانت تعيش من النيل شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا عاداتهم، معتقداتهم،وعتادهم، فالمصادر المصرية القديمة ساهمت في تقديم صورة واضحة عن النظام الاجتماعيوالاقتصادي للّيبيين، فقد كان المصريون أقرب من غيرهم من الأمم من سكان ليبيا اقليميا واثنيا وربما لغويا[1]. ورغم أن هذه المصادر المصرية مليئة بالفجوات والثغرات فهي لم تهدف في المقام الأول إلى تسجيل جوانب غيرها من الشعوب المجاورة وإنما جاء ذلك متضمنا تسجيلها لجوانب الحياة المصرية لأن التقليد السائد عندهم أن يسجل الفرعون أخبار انتصاراته أو أمجاده وليس كل تاريخه؛ فهذه المصادر عبارة عن أخبار تمثل وجهة نظر غير الليبيين فلا تخلو من كثرة المبالغات[2]. ومع ذلك فليس أمام الدارس للتاريخ الليبي في فترة فجر التاريخ إلا أن يستخلص من هذه المصادر ما أمكنه، وأن يعطي صورة عن الليبيين آنذاك يملأ بها الفراغ الذي خلفه عدم العثور في ليبيا على نحت أو نقش يعطي صورة لما وجد في هذه الوثائق[3] باستثناء الرسوم الصخرية، على أمل أن تساهم هذه الأخيرة كمصدر موضوعي وخام، خلفه لنا سكان المنطقة – أسلافنا من القبائل الليبية– في توضيح بعض النقاط، خاصة أنماط معيشتهم ونشاطهم، ومنجزاتهم الحضارية. وعليه نتساءل ما مدى أهمية المصادر المصرية القديمة لدراسة التاريخ المغاربي القديم ؟ وهل تمكن الدارس

للتاريخ المغاربي القديم من معرفة المظاهر الحضارية لأسلافه من القبائل الليبية القديمة وأنماط معيشتهم من خلال هذه المصادر؟

اعتمدنا في انجاز هذه الورقة البحثية على المنهج التحليلي والمنهج التاريخي الوصفي، لمعالجة سير الأحداث التي وقعت، من خلال عرض الحقائق وتقديم الأدلة والبراهين العلمية، والبقايا الأثرية واللوحات ومحاولة استقرائها، لأن كل واقعة أو ظاهرة من الظواهر الإجتماعية أو السياسية أو العسكرية التي لها صلة بالموضوع، لابد من الإشارة إليها وضرورة التأكد منها، من أجل معالجة الحقائق والآراء وتفسيرها ونقدها بهدف الوصول إلى إجابة للإشكالية، ومن ثمة القيام بعملية الاستقراء واستنباط النتائج.

2.الجانب الإجتماعي :

1.2 . المجتمع:

عرف الليبيون نظام الحكم القبلي، فقد كان يرأس القبيلة زعيم أو رئيس من أسرة معينة تحتكر لنفسها زعامة القبيلة، ويشترط في رئيس القبيلة المختار الالتزام بالعدل في حياته وتصرفاته، وتستطيع القبيلة عزل رئيسها إذا ما ثبت عدم كفاءته، ويعهد بمنصبه إلى أحد أعضاء الأسرة الآخرين كما حدث في حالة الأمير "مري بن دد" بعد هزيمته، الذي ولى أخوه في منصب رئيس القبيلة[4]، كان منصبا وراثيا في الأسرة الحاكمة.

كان يساعد رئيس القبيلة في إدارة شؤونها مجلس استشاري، وهذا ما تبينه نصوص الملك "رعمسيس الثالث" الذي أمر أن يحضر إليه الأسرى العشرة ويرجح أنهم كانوا يشكلون مجلسا استشاريا، كما تكررت في نصوص هذا الملك أيضا عبارة رؤساء المشواش، وأشير في نصوص الأسرة الثانية والعشرين الليبية إلى الرئيس الأعظم للمشواش "رئيس الرؤساء" و"زعماء أرض المشواش". كما توضح الصور التي حفظتها جدران المعابد في مصر تباين المركز الاجتماعي للّيبيين بعدد الريش التي يضعونها فوق رؤوسهم[5]، فبعضهم يتحلون بريشة واحدة وآخرين يتحلون بريشتين.

يعتقد "بيتس"[6] بأن رئيس القبيلة يعتبر كاهنا في القبيلة أيضا، وهذا الرئيس يثبت في رأسه ريشتين تمييزا له عن الرؤساء الأصاغر الذين يحملون ريشة واحدة، ويحمل صولجانا من الفضة المطعمة، وله لباس رأس خاص مطرز بالفضة، ويرتدي لباس أبيض يشبك فوق الكتف بمشبك ذهب وينتعل صندلا، وهذه الميزات قد استدل بها "بيتس" من خلال الرسوم التي تغطي جدران معابد الملوك الذين خاضوا حروبا كثيرة ضد الليبيين أمثال "مرنبتاح" و"رعمسيس الثالث"، وكانت قد سبقت هذه الميزات في بداية الألف الثالثة تثبيت ذيل الحيوان في الحزام ليتدلى من الخلف، والوشم على الأذرع والسيقانوكذلك تثبيت الريش على الرأس[7].

2.2 الأسرة الليبية:

تساعدنا النصوص المصرية على دراسة المجتمع الليبي بصفة عامة ونظام الأسرة الليبية بصفة خاصة، وإذا كانت مصادر العصر اليوناني تقطع بأن الليبي قد عرف تعدد الزوجات، فإن المصادر المصرية تكشف عن وجود هذه العادة عند الليبيين القدماء،فقد ذكر في نقوش الكرنك من عصر "مرنبتاح" أن "مري بن دد" أمير الليبو كان يصحب معه زوجه وستة أولاده، كانوا في الواقع رجالا بالغين، ومن غير المعقول أن تكون هذه الزوجة أمّا لهم وإلا لكانت من كبر السن بحيث لا تستطيع مصاحبة زوجها[8]، لذلك فإنه من المرجح أن تكون هي السيدة الأولى في حريم الأمير الليبي.

كما جاء في نصوص رعمسيس الثاني أن كبر بن دد" أحضر معه ابنه وزوجه وأسرته، ولكن في نص آخر أشير إلى نسائه وبذلك تكون الزوجة التي ذكرت هي السيدة الأولى في الحريم، وثمة شواهد أخرى منها لوحة حورباسن وهو ينحدر من أسرة ليبية سجل شجرة نسبه، التي تبين أن كل رجل من هذه الأسرة كان يتخذ زوجة واحدة، ولعل ذلك يفسر أن الزوجة التي ورد ذكرها كانت السيدة الأولى في حريم ضم عددا من الزوجات؛ وفي لوحة "بعنخى" نقرأ أن الملك "نمرود" (وهو ليبي من المشواش) أرسل زوجته الملكة "نس تبت"

إلى زوجات الملك بعنخى لتلتمس العفو عنه "..ولما دخل بعنخى قصر نمرود أمر بأن تمثل في حضرته كل زوجات الملك وبناته.."[9] وهذا النص يقطع بتعدد زوجات هذا الملك الليبي الأصل.

ولعل ظاهرة تعدد الزوجات على نطاق واسع بين الليبيين هي التي أدت إلى وقوع عدد كبير من الكتاب الإغريق والرومان في الخطأ عندما تحدثوا عن انتشار ما يشبه أن يكون إباحية جنسية؛ فها هو "هيرودوت" يقول عن قبيلة "الناسامونيين" و"المساجيتي":" إن الرجل منهم حتى ولو كان متزوجا كان يتمتع بنساء الآخرين من أبناء قبيلته"، ويقول عن "الأوسيس:" انهم لا يتزاوجون وإنما يعيشون سوية كقطيع من الحيوانات وعندما يكبر الأطفال يجتمع مجلس القبيلة الذي يضم كل رجالها البالغين، ليقرر إلحاقهم بمن يشبهونهم من الرجال"[10].

ويناقش " بيتس" هذه التهم فيعتبرها أخطاء وقع فيها قدماء الكتاب الإغريق والرومان لعجزهم عن تفهم ظاهرة تعدد الزوجات ويورد حجتين يدعم بهما رأيه: الأولى أن الأوسيين كانوا ينزلون عقوبة الموت بالفتاة المشتركة في بعض طقوسهم الدينية، إذا تبين لهم أنها كانت فاقدة لعذريتها، وقوم هذه صفتهم لا يمكن أن يصح عليهم ما قاله "هيرودوت" عنهم؛ والثانية أن نمطا من قرابة الدم كان شائعا في شمال افريقيا مما يدل على أن القوم كانوا متفقين على نوع من الزواج يكفي لتحديد قرابة الدم في نطاق الأسرة والقبيلة[11].

ولا يعني تعدد الزوجات في هذا المجتمع الليبي القديم يعني انحطاط مركز المرأة فيه، ذلك أن المرأة الليبية تظهر في صور الآثار المصرية وهي تلبس ملابس الرجل وتتحلى بنفس زينته[12]، وهذا في حد ذاته دليل على علو مكانتها في المجتمع.

فكان للمرأة دور ملحوظ في المجتمع اللّيبي، فإلى جانب كونها زوجة وأم، فقد خرجت مع الرجال للحرب واسعاف الجرحى، وقد اتخذت زي الرجال رداء لها، ومنه جراب العورة وذيل الحيوان، وهي أهم قطعة لباس ميّزت الرجل عن المرأة، وقد علّق الأثري "بيتس"

على ذلك بأنه كان وسام شرف،وسمو المكانة للمرأة التي ترتدي لباس الرجل، ولهذا الغرض ارتدت "حتشبسوت"، وملكات مروى لباس الرجل، وهذا هو ما نقلته رسومات جدران "ساحورع" وكذلك جدران مدينة "هابو"[13].

3.2 .الملابس و الحلي عند اللّيبيين القدماء:

تميزت القبائل الليبية القديمة سواءالتحنوأوالتمحو، الليبو،أوالمشواش، كل قبيلة بطريقة لبسها، فمثلا كان "التحنو" يلبسون أشرطة من الجلد وقراب العورة، أما "التمحو" فملابسهم كانت أرقى كثيرا، تتألف من عباءة فضفاضة مزخرفة من الجلد ثبت في ذيلها شريط مخطط، وإلى جانب ذلك احتفظ "التمحو" بقراب العورة، كما كان "الليبو" يلبسون تحت العباءة بدلا من قراب العورة قميصا يعلو الركبة وملابسهم تكاد تشبه ملابس المشواش، غير أن المشواش عادوا إلى استعمال قراب العورة، الذي يقتصر لبسه على البالغين من الرجال والنساء[14].

كان الليبيون يلبسون الأحذية والصنادل، وإن كانوا يظهرون في صور الآثار المصرية حفاة الأقدام، هذا لا يعني أنهم كانوا حفاة في واقع حياتهم وإنما قد يعني إما إهمال من جانب الفنانين المصريينوإما المبالغة في اظهار أولئك الرؤساء والأمراء بمظهر الذل والخضوع، وعلى أي حال فهناك صور للّيبيين ينتعلون نعال، حيث نقرأ في نصوص الكرنك من عهد "مرنبتاح":"..أنهم تركوا ملابسهم ومتاعهم وكذلك أحذيتهم"[15].

أما لباس الرأس فلم يكن شائعا بين الليبيين بشكل عام، بالرغم من شدة حرارة الشمس، وأحيانا كان المشواش يغطون رؤوسهم بنوع من الشيلان يثبتونه على الرأس بعصابة أو شبكة، وتظهر في مدينة هابو سيدة ليبية تلبس طاقية على رأسها[16]، وفي لوحة للملك "تحتمس الرابع" يظهر رجل يلبسها كذلك.

أشهر الحلي التي كان الليبيون يتزينون بها هي ريش النعام، إذ نجد أن المحاربين اللّيبيين عامة كانوا يزينون به رؤوسهم، بالإضافة إلى ذلك فإن الليبيين كانوا يلبسون الحلق والأساور على أذرعتهم والخلاخيل، ولعل الريشة كانت أبرز ما كان الليبي يتحلى به، وإذا

كانت لا تظهر أحيانا، فإن ذلك لأن الرسام لا يجد في المساحة التي يرسم فيها صورة الليبي متسعا لرسمها، كما كانت الريشة من علامات الزعامة وسقوطها من على الرأس هو علامة ذل وعار لحاملها[17]، وكان الرؤساء يتحلون أيضا بذيل الحيوان.

كما كان الليبيون يعتنون بتصفيف شعورهم وترتيبها في جدائل، على نحو ما تظهر في الصور المصرية، فقد تزين الليبيون بخصلة من الشعر على الجبهة، كما هو واضح على نقوش معبد الفرعون "ساحورع" أو بظفائر تغطي الجبهة وهو ما صوّر على جدران المقابر بتل العمارنة ومعبد مدينة هابو، كذلك عرف عنهم أيضا اسدال ضفيرة من الشعر على الصدر أو تلف وراء الأذن أو تنسدل الجديلة على الصدغ؛ ويطلق الرجل من الليبيين لحيته بشكل منسق، وقد تكون اللحية أحيانا كثة، وقد تكون خفيفة تحيط بالوجه وتنتهي بطرف مدبب، ونشاهد على بعض الصور أن الرجل كان يطلق شاربه، ولكن عادة اطلاق الشوارب لم تكن عادة شائعة عند كل الليبيين[18] (أنظر الشكل رقم1).

واستعمل الليبيون أيضا الوشم في أشكال مختلفة، وأحسن شاهد عليها هو صور الرؤساء الليبيين المرسومة على جدران مقابر الفرعون سيتي الأول بتل العمارنة، ويرجع "أوريك بيتس" أن الرؤساء الليبيين هم فقط الذين كانوا يستعملون الوشم، وأن رجال الأسر الحاكمة دون نسائها هم الذين كانوا يستعملونه؛ أما أنماط الوشم التي استخدمها الليبيون فقد كانت أنماط محلية بسيطة، وأهمها نمط ذو دلالة دينية لأنه يتعلق بالآلهة نيت، فقد كان الوشم عند الليبيين في البداية علامة مميزة للرؤساء الكبار، ثم صار شيوع استعماله بين الرؤساء علامة تدل على أنهم كانوا يضعون أنفسهم تحت حماية الآلهة "نيت[19]"، أما الأنماط الأخرى من الوشم فهي بسيطة للغاية و يمكن ردها إلى العصر الحجري الحديثوكانت ربما للزينة فقط.

4.2 المظاهر المادية في المجتمع الليبي:

أجمع عدد كبير من المؤرخين على أن الليبيين في عصر الحروب الليبية الكبرى لمصر، كانوا في مرحلة حضارية متقدمة إلى حد كبير، لأنهم كانوا يستعملون الأسلحة والأواني

المعدنية، وهذه قضية جديرة بالبحث الواعي العميق، لأنها ذات أثر كبير على الحضارة الليبية القديمة وذات دلالة تاريخية عميقة. ففي قائمة الغنائم التي استولى عليها الفراعنة المصريون كانت تضم أوان من الذهب والفضة والبرونز، وسيوفا من النحاس(أنظر الشكل رقم 2 و الصورة رقم 1)، وكانت سيوف المشواش عبارة عن نصل من المعدن مثبت في مقبض من الخشب، قد يبلغ طوله ثلاثة أمتار، وكان السلاح الرئيسي للّيبيين القوس والنشاب؛ وفي نص للملك "مرنبتاح" أن "مري بن دد" انقض برماة السهام، وأن الرئيس الليبي خلف وراءه قوسه وسهامه وجعبته، وأكثر من تسعة آلاف من سيوف المشواش البرونزية وأواني الشرب الفضية والسكاكين، كما كان من جملة الغنائم التي استولى عليها "رعمسيس الثالث" من الليبيين 115 سيفا بطول خمسة سواعد و124 سيفا بطول ثلاثة سواعد[20]، ويؤكد هذه المعلومات ما نجده من تمثيل للأوعية الليبية في النقوش المصرية وما ذكره الكتاب الكلاسيكيون عن السيوف الليبية.

يعتقد فريق من الباحثين ومنهم "بيتس" أن الليبيين قد حصلوا على هذا النوع من السيوف من بلاد أجنبية، في حين يذهب "وانرايت" إلى أن الليبيين كانوا على صلة بشعوب البحر في هذه الفترة بالذات فأخذوا عنهم استخدام السيوف الطويلة في المعارك[21].

ومن المعدات اللّيبية الأخرى التي صنعها قدماء الليبيين "العربات الحربية"، فقد كان الليبيوالمشواش يقاتلون المصريين بعرباتهم الحربية[22]، وقد غنم منها رعمسيس الثالث حوالي ثلاثة وتسعين عربة.

ومن الأسلحة الدفاعية التي يدافع بها المحارب عن نفسه- وإن كانت هناك مراجع تقول بأن اللّيبي كانت تنقصه هذه الأسلحة الدفاعية- وبالاعتماد دائما على الآثار المصرية، فإننا نستشف بأن الحقيقة غير ذلك، حيث أن رسومات على جدران معبد الكرنك تبيّن المحارب الليبي وقد استخدم الدروعوالخوذات وقاية له من ضربات السيوف، بل ويرجع استخدام الليبي الدرع إلى مرحلة العصور الحجرية؛ وتجدر الإشارة في هذا المقام بأن الآلهة

الليبية "نيت" كان يرمز لها بدرع مصنوع من جلد، يتقاطع عليه سهمان، كما تشهد عليه آثار مصرية تعود لمرحلة ما قبل الأسرات، وهو نفس الرمز الذي استخدمه أفراد قبيلة الليبو، كوشم يزينون به أذرعهم وسيقانهم، كما هو واضح على منظر شعوب العا لم الأربعة[23].

كما كان جنود الليبووالمشواش يعسكرون في خيام مصنوعة من الجلد ويضعون سهامهم في جعاب من الجلد ويحفظون المياه في قرب من الجلد[24]،وهذه الأخيرة تعد من أهم المعدات الليبية القديمة التي كان يستحيل للجندي الليبي أن يعبر الصحراء دونها، وقد ورد ذكرها لأول مرة على آثار الدولة الحديثة في مصر، وكانت القرب تحمل بربطها تحت بطون الخيل حتى لا يتبخر الماء منها[25](وهذه عادة لا تزال دارجة حتى اليوم).

ومما يكشف عن بعض مظاهر الحضارة المادية للّيبو، ما جاء بصدد غزوة "مري بن دد"، من أنه "فر تاركا أثاث زوجه وعرشه.." وهذا يعني أنه كان للّيبو في مساكنهم في ليبيا أثاث، وأنهم كانوا يعرفون الكراسي، إذ كان رئيسهم يتخذ لنفسه عرشا، وقد عثر في "غدامس" على صورة ربما كانت معاصرة لأواخر عصر الدولة الحديثة في مصر، حيث تمثل الصورة سيدة وهي جالسة على مقعد، وقد وضعت قدميها على مسند للأقدام، ولنا أن نتصور أن مساكنهم كانت لا تخلو من الأواني الفخارية أو المعدنية وقرب الماء والأسبتة، وأنه كان لديهم أدوات تستخدم في كافة أغراض الحياة اليومية، مثل الإبر والأكياس الجلدية ومخارز لصنعها، وأواني لحفظ اللحم المجفف والحبال والسلال[26]،إذ تدل إحدى الصور على جدران مقبرة "خنومحتب" ببني حسن أن اللّيبيين كانوا يعرفون السلال حيث ظهرت النساء الليبيات في تلك الصورة وهن يحملن أطفالهن على ظهورهن فوق سلة، وقد قامت كل واحدة منهن بسند قاعدة السلة بيدها زيادة في تحقيق الأمان للطفل[27].

تكشف الآثار أيضا عن وجود بعض الآلات الموسيقية مثل الصاجات، والطبل ذو الوجهين الذي يدل شكله على أنه كان مصنوعا إما من الفخار أو الخشب الذي غطيت نهاياته بالجلد، وكان هذا الطبل يحمل برباط يشده إلى الكتفين، وكان يعلق في العنق بوساطة

شريطين؛ بالإضافة إلى آلات موسيقية أخرى مثل البوق والنفير والقيثارة الصغيرة قائمة الزاوية، وكان الليبيون يستعملون جميع الآلات الموسيقية المذكورة في وقت واحد في مناسبات الاحتفالات العامة، إذ اننا نجد أحد النقوش المصرية يمثل جميع هذه الآلات أثناء استعمالها في آن واحد، كما كان الليبيون يقومون بالرقص ويسيرون في مواكب احتفالية، حيث ينقل "أوريك بيتس" عن النقوش المصرية رقصة حربية كان يؤديها أفراد من قبيلة "التمحو" الليبية تعود إلى عهد الدولة الحديثة، حيث انقسموا إلى مجموعتين: يقوم ثلاثة رجال بقرع العصيّ بتوقيت زمني منتظم، بينما يؤدي اثنان آخران حركات قتالية راقصة موزونة بقرع العصيّ أيضا؛ وهذه الرقصة تشبه إلى حد كبير رقصة (الكاسكا) التارقية في وقتنا الحاضر[28]، مما يشير إلى أن قدماء الليبيين تركوا شيئا من آثارهم الفنية وعاداتهم وتقاليدهم في مواقعهم الأولى، بينما حملوا نماذج منها إلى وادي النيل أثناء هجرتهم إليه زمن الجفاف.

لم يعثر على مبان للّيبيين في هذه الفترة، وقد يعلل ذلك بأن هؤلاء القوم كانوا يشيدون مبانيهم من أنواع من الحجارة لم تستطع مقاومة عوامل الفناء، والليبيون سواءالليبو أو المشواش كانوا يتخذون خياما مصنوعة من الجلد، وقد استمر استعمالهم لهذا النوع من الخيام حتى فترة متأخرة[29].

3 .الحياة الاقتصادية:

للتعرفعلى الحياة الاقتصادية عند الليبيين القدماء، فإن ما ذكر على الآثار المصرية كاف لتبين أنّ الليبيين قد ألفوا حياة الرعي والزراعة والتجارة.

1.3 .الرعي:

يرجّح أنّ الرعي وتربية الماشية والصيد تقع في المرتبة الأولى من مقوّمات الاقتصاد اللّيبي، إلى جانب الزراعة والتجارة؛ وقد توصل سكان شمال غرب افريقيا إلى استئناس الحيوان في العصر الحجري الحديث، ويظهر ذلك واضحا على الرسوم الصخرية، التي تبيّن الحيوان المستأنس وقد علق في رقبته طوق، لكن هذا لم يمنع من أنّهم كانوا يصطادون الحيوانات البرية

والمستأنسة على السواء،ويتزينون بريش النعام، فقد سبق أن لاحظنا في الحروب الليبية المصرية أعداد هائلة من المواشي التي كان المصريون يستولون عليها من اللّيبيين منذ عهد ساحورع من الأسرة الخامسة، وفي كل حرب كانت الجماعات الليبية من تحنو أو تمحو أو ليبو أو مشواش، تأتي بعدد ضخم من الماشية والماعز إلى جانب البقر والثيران والخيل والحمير[30]، كما أنّ الضريبة التي كانت تأخذها الملكة "حتشبسوت" من قبائل التحنو كانت تحتوي على جلود نمور وأنياب الفيلة، وكذلك ريش النعام.

توالت الأسر الفرعونية بعد ذلك، وتكاثفت مناورات ومحاولات اللّيبيين الاستقرار على أرض مصر وانهزامهم المتكرر والاستيلاء على ممتلكاتهم بما فيها ماشيتهم. فقد استولى الفرعون رعمسيس الثالث في حربه الثانية ضد الليبيين على غنائم كثيرة منها ماشية متنوعة وهي بعدد 42.721 رأسا من الحيوانات المختلفة مقسمة على الوجه التالي: 107 ثور، 7340 رأس ماشية، 34.738 رأسا من الغنم و 9452 من الماعز و184 حمارا و 92 زوجا من الخيول التي تجر 92 عربة. إنّ هذه الأعداد إنما تشير إلى غنى ليبيا في الثروة الحيوانية وكذلك في خصوبة الأرض التي تعيش عليها مثل هذه الأعداد[31].

ورد ذكر جلود النمر التي كانت القبائل الليبية تقدمها جزية لحتشبسوت، وتعددت الاشارات إلى ملابس الليبيين المصنوعة من الجلد، ووضح لنا مدى اهتمام الليبيين بريش النعام ولم يقم أي دليل على استئناس الليبيين لمثل هذه الحيوانات[32]، ولذلك فإنه من المرجح أن يكون الصيد هو وسيلتهم للحصول عليها.

2.3 .الزراعة:

إلى جانب الرعي وتربية الماشية، فقد عرف الليبيون الزراعة؛ وتدلنا على ذلك كثرة الأواني الفخارية، بالإضافة إلى تلك الآلات العظمية التي اكتشفت في مواقع "مشتى العربي" بالقرب من "شلغوم العيد"،و"كولومناطة"(تيارت)، وهي عبارة عن عظام ضلع عجل قوي، يعتقد أنّها استخدمت لقطع السنابل، ثم وجود الرحى النائمة (المطاحن الحجرية) بكثرة في كل أجزاء

الصحراء من مصر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا؛ كل هذه دلائل على المعرفة المبكرة لسكان شمال غرب افريقيا للزراعة؛ فقد أرخت المخابر لسنابل قمح من موقع "أمكين" بتمنراست" بحوالي 6100 ق.م، أما عملية التصحر فبدأت وبالتدريج مع منتصفالألف الثامنة، مما جعل السكان يهجرون أماكن استقرارهم المتصحرة، نحو مناطق بها مصدر ماء ثابت مثل النيل في مرحلة فجر التاريخ، أو تراجع شمالا حيث الأودية والأحواض[33].

وما ذكر على الآثار المصرية يبيّن أنّ اللّيبيين قد ألفوا حياة الزراعة، فقد ورد بلوحة التحنو أو كما تعرف بلوحة الحصون والغنائم على أحد وجهيها أربعة صفوف أفقية، الثلاث الأولى صور ثيران وحمير وخراف على الترتيب أما الصف الرابع ففيه أشجار زيتون وإلى يمين هذه الأشجار نقشت علامة التحنو، ومن الواضح أن الماشية والأغنام غنائم حرب تبين ممارسة الليبيين للرعي وتربية المواشي، وشجر الزيتون رمز لزيت التحنو الثمين المشهور في مصر القديمة[34] وهذا دليل على أن الليبيين عرفوا الزراعة مبكرا.

كما ورد في نصوص الأسرة التاسعة عشرة إشارة إلى أن اللّيبيين عرفوا الزراعة، إذ جاء في نص أنشودة النصر التي أشادت بمرنبتاح"..وأسفاه على ليبيا، لقد أصبح أهلها لا يعيشون بحالتهم الطبيعية يمرحون في الحقول". كما قال هذا الفرعون أنه أخذ كل عشبة تأتي من حقول ليبيا، وأنه لم يعد هناك فوق أرض الليبو أي حقل صالح ليكفي إعالة السكان". كما يتبيّن بأن الليبيين قد زرعوا الحبوب، وأرض الليبو كانت تنتج القمح، لأن هذا الفرعون قال أنه "نهب كل مؤن رئيس الليبو من القمح.."[35].

3.3 .التجارة:

إلى جانب الرعي والصيد والزراعة عرف اللّيبيون القدماء التجارة؛ إن صفة البداوة التي فرضتها الظروف على بعض القبائل الليبية، جعلت هذه القبائل تتحكم في القوافل التي تمر بالصحراء، كما أنّ طبيعة منطقة شمال افريقيا وموقعها وسط مراكز حضارية، ومناجم الثروة

في افريقيا منذ أقدم العصور أدّى باللّيبيين إلى امتهان التجارة، وإن كانت النصوص المصرية تتكلموبإسهاب عن تبادلاتها التجارية مع الشرق مثل جبيل والجنوب مثل بونت، فإنها تبقي تبادلاتها مع الغرب طي الكتمان[36].

كان الليبيون يلعبون دور الوسيط في نقل السلع من دارفور ومنطقة تشاد، وكان بعضها يذهب مباشرة إلى مصر كجانب من الجزية المفروضة على الليبيين، أو كسلع تجارية عبر بلاد النوبة، فقد حصلت الملكة "حتشبسوت" من التحنو على العاج وسبعمائة ناب فيل، وكان الليبيون يقدمون الذهب كنوع من الجزية للملكة حتشبسوت وشريكها في الحكم الملك "تحتمس الثالث"، وكان "التمحو" ينقلون إلى بلاد النوبة حجر التمحي، وهو من الأحجار الكريمة؛ كما عثر في جزيرة كريت على تمثال لقرد مصنوع من العاج وعلى بعض الأختام العاجية أيضا، وقد عثر في مقابر الأترورين على بيض النعام؛ فاللّيبيون كانوا يقومون بدور الوسيط بين تجار الجنوب (بلاد النوبة و تشاد)،وتجار الشمال بين مصر وبعض دول البحر المتوسط، فقد كان اللّيبيون ينقلون هذه السلع إلى سواحل برقة، ومنها كانت تصدر إلى جزيرة كريت أو ايطاليا وبعض أقاليم البحر الأبيض المتوسط[37].

ولعل الليبيين من ناحية أخرى كانوا يحصلون على بعض الأقمشة الجلدية المزخرفة من الشردان،والأواني الذهبية والفضية والبرونزية والسيوف النحاسية من آسيا الصغرى أو من بحر إيجة،وتصور بعض الرسوم المنقوشة على الصخر في جبل أكاكوس جنوب فزان قوافل يحرسها أصحابها[38] وهذا يعني أنّ الليبيين كانوا منذ عصور ما قبل التاريخ يعملون في نقل التجارة وتبادل السلع مع غيرهم من الشعوب.

وهذا ما يبيّنه متحف "الهواء الطلق" بالتاسيلي والهقار، على أن الليبيين منذ الألف الأولى ق.موقبلها، قد تولوا قيادة القوافل التجارية المتجهة إلى النيجر والتشاد، وكانت تحميها العربات العسكريةوالخيالة المحاربين على صهوة أحصنتهم، كما تظهره لنا الرسوم الصخرية في مرحلة الخيالة[39].

4. خاتمة:

هذه هي الصورة العامة للمظاهر الحضارية للمجتمع الليبيمن خلال الآثار المصرية القديمة، بجوانبها المختلفة الاجتماعية، الدينية، الاقتصادية والفنية ، التي توصلنا إليها من خلال المعلومات القليلة التي بحوزتنا، فالآثار المصرية غطت جزءا مهما من الفراغ الموجود في مرحلة فجر التاريخ و كيف عاشها الليبيون، و لذلك نستبعد الفكرة القائلة بأن الليبيين قد بقوا في غياهب العصور الحجرية انتظارا لمجيء الفينيقيين ليدخلوهم عالم الحضارات والتاريخ من أوسع أبوابه.

5. قائمة المراجع:

أ- المؤلفات:

1- باللغة العر بية:

- البرغوثي عبد اللطيف محمود ، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الاسلامي ، ج 1 ،(د.ط)،تامغناست، (د.ت).

- دراز أحمد عبد الحليم ، مصر وليبيا فيما بين القرن السابع و القرن الرابع ق.م،(د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000.

- الصويعي عبد العزيز ، تاريخ الحضارة الليبية القديمة، (د.ط)،دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2013.

- عبد العليم مصطفى كمال ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم ،(د.ط)، المطبعة الأهلية ، بنغازي، 1966.

2- باللغة الأجنبية:

-Bates.O, the eastern libyans ,éd Macmillan and co limited , London , 1914.
-Breasted.H, ancient records of Egypt , vol III , the university of Chicago press,Chicago,1906.
-Breasted.H, Ancient records of Egypt , vol IV, the university of Chicago press , Chicago , 1906.
-Hérodote, histoire d'hérodote , livre IV , traduit par Larcher , charpentier libraire-éditeur , paris , 1850.

ب- المقالات:

1- باللغة العربية:

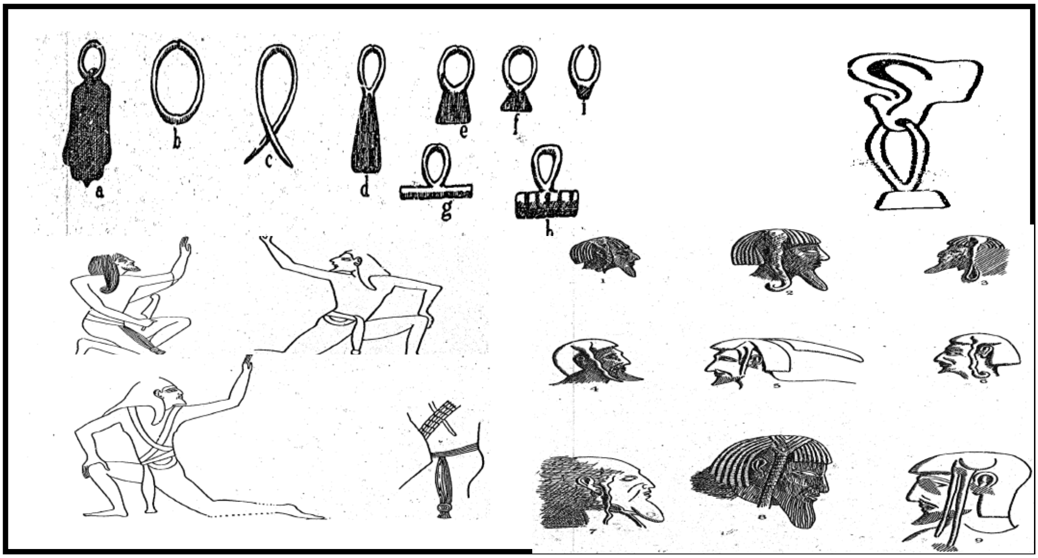
- رشدي جيهان محمد، مناظر اصطحاب المرأة للطفل على جدران مقابر عصر الدولة القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة "دراسة تحليلية"، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد 12، القاهرة، 2011.
- شاهين علاء الدين عبد المحسن، العلاقات المصرية الليبية في العصور البرونزية من الألف الثالث إلى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت ، الحولية 23، الرسالة 195 ، الكويت ، 2003.
- العقون أم الخير ، مظاهر المجتمع والحضارة الليبية من خلال الآثار المصرية القديمة، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب ، العدد السابع ، القاهرة ، 2006.
- العقون أم الخير ، صور من حياة المجتمع الليبي القديم من خلال الآثار المصرية، مجلة العلوم الانسانية، العدد الأول، رقم 2، كلية العلوم الانسانية و العلوم الاسلامية- جامعة وهران1 أحمد بن بلة، 2012.
- العقون أم الخير ، من مصادر تاريخ المغرب القديم "الرسوم الصخرية والآثار المصرية، carrefours sahariens vues des rives du Sahara،مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية (CRASC)، وهران،2016.

– الأثرم رجب عبد الحميد، العلاقات الليبية المصرية حتى تأسيس الأسرة الثانية و العشرين الليبية ، مجلة البحوث التاريخية ، منشورات جامعة الفاتح ، السنة السادسة ، العدد الأول ، 1984.

2– باللغة الأجنبية:

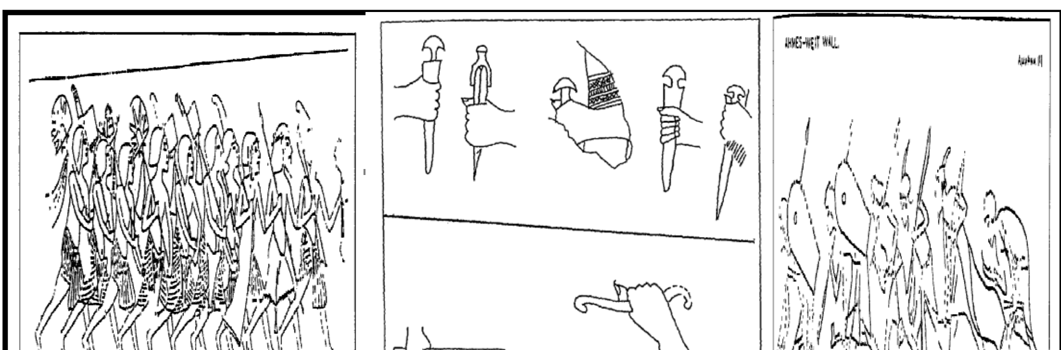
Wainwright. J.A, the Mechwech,in J.E.A,N48,London, 1962.

6. ملاحق:



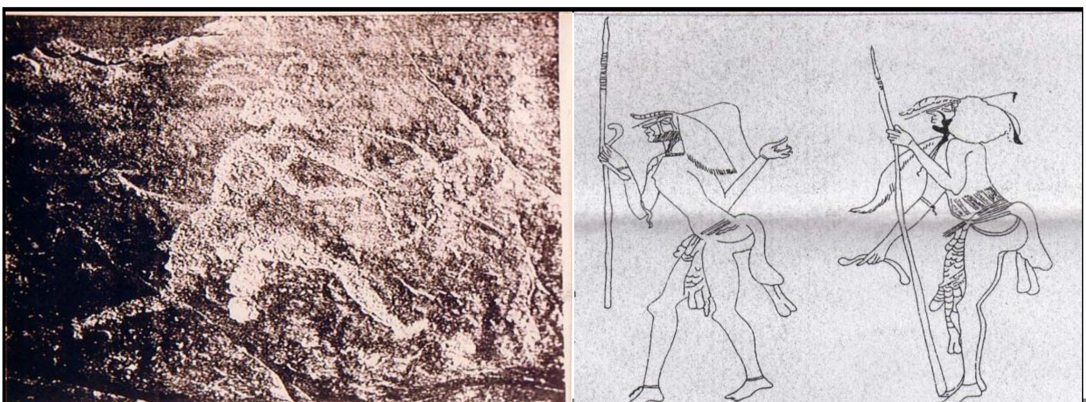
الشكل رقم 1: أشكال جراب العورة وتصفيفات الشعر وأدوات الزينة عند القبائل الليبية

عن: O.Bates, op-cit , p p 43-131.



الشكل رقم 2:أنماط متنوعة من الأسلحة الليبية والليبيون ضمن الحرس الملكي للفرعون أخناتون بجبانة تل عمارنة

عن: شاهين علاء الدين عبد المحسن، العلاقات المصرية الليبية في العصور البرونزية من الألف الثالث إلى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت ، الحولية 23 ، الرسالة 195 ، الكويت ، 2003، ص ص 98-106.



الصورة رقم 1: ليبيون يرتدون جراب العورة و ذيل الحيوانوعلى رأسهم ريش،مسلحين بعصا الرماية وبالقوس، بنفس مواصفات الليبيين على الآثار المصرية (تاسيلي أن أجار).

عن: أم الخير العقون، من مصادر تاريخ المغرب القديم "الرسوم الصخرية والآثار المصرية، carrefours sahariens vues des rives du Sahara،مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية (CRASC)، وهران،2016، صص 111-114.

7. هوامش:

[1]- أم الخير العقون، صور من حياة المجتمع الليبي القديم من خلال الآثار المصرية، مجلة العلوم الانسانية، العدد الأول، رقم 2، كلية العلوم الانسانية و العلوم الاسلامية- جامعة وهران1 أحمد بن بلة، 2012، ص 15-16.

[2]- رجب الأثرم عبد الحميد، العلاقات الليبية المصرية حتى تأسيس الأسرة الثانية و العشرين الليبية ، مجلة البحوث التاريخية ، منشورات جامعة الفاتح ، السنة السادسة ، العدد الأول ، 1984، ص 163.

[3]- أحمد عبد الحليم دراز ، مصر وليبيا فيما بين القرن السابع و القرن الرابع ق.م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000، ص 27.

[4]- مصطفى عبد العليم كمال ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم ، المطبعة الأهلية ، بنغازي، 1966، ص 39؛ عبد اللطيف البرغوثي محمود ، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الاسلامي ، ج 1 ، تامغناست، ص 87.

[5]- مصطفى عبد العليم ، المرجع السابق، ص 39.

[6]- O.Bates, the eastern libyans ,éd Macmillan and co limited , London , 1914 , p 116.

7- أم الخير العقون، مظاهر المجتمع والحضارة الليبية من خلال الآثار المصرية القديمة، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب ، العدد السابع ، القاهرة ، 2006، ص 3. أنظر: O.Bates, op-cit, p 116

8- H.Breasted, ancient records of Egypt , vol III , the university of Chicago press,Chicago,1906. para 588, p p 248-250,O. Bates, op-cit, p 116 ; مصطفى عبد العليم، المرجع السابق ، ص 38

9- مصطفى عبد العليم، المرجع نفسه، ص 38-39؛ O.Bates, op-cit, p 109.

10- عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 85-86؛ Hérodote, histoire d'hérodote , livre IV , traduit par Larcher , charpentier libraire-éditeur , paris , 1850,para 172-180؛ O.Bates, op-cit, p 110.

11- عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 86؛O.Bates, op-cit, p 110-111.

12- مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 39.

13- أم الخير العقون، صور من حياة المجتمع الليبي، ص 19؛O..Bates, op-cit , p 113-114

14- مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 40.

15- عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 98؛ Breasted, op-cit, para 584, p 246.

16- مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 41.

17-عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق ، ص 99-101.

18- مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 41-42؛ أم الخير العقون، مظاهر المجتمع و الحضارة الليبية، ص 14.

19-عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 102-103؛ Bates, op-cit, p 138.

20- عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 104؛ مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 42؛ H.Breasted,Ancient records of Egypt , vol IV, the university of Chicago press , Chicago , 1906, para 111, p 66

21- أم الخير العقون، صور من حياة المجتمع الليبي، ص 34. أنظر:
J.A.Wainwright, the Mechwech,in J.E.A,N48,London, 1962, p 94-95.

22- مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 43؛ عبد العزيز الصويعي، تاريخ الحضارة الليبية القديمة، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2013، ص 316.

[23]– أم الخير العقون، مظاهر المجتمع و الحضارة الليبية، ص 16-17.

[24]– مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 43.

[25]– عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 111.

[26]– مصطفى عبد العليم،المرجع السابق، ص 43-44؛البرغوثي،المرجع السابق،ص 115-116؛ O.Bates,op-cit,p 153

[27]– جيهان رشدي محمد، مناظر اصطحاب المرأة للطفل على جدران مقابر عصر الدولة القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة "دراسة تحليلية"، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد 12، القاهرة، 2011، ص 18.

[28]–عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 117-118؛ عبد العزيز الصويعي، المرجع السابق، ص 313؛ مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 44.

[29]– مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 44-45.

[30]– أم الخير العقون، صور من حياة المجتمع الليبي، ص 21؛ مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 37.

[31]– أم الخير العقون، مظاهر المجتمع و الحضارة الليبية، ص 6.

[32]– مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 37؛ O.Bates ,op-cit, p 94.

[33]– أم الخير العقون، صور من حياة المجتمع الليبي القديم، ص 22.

[34]– رجب الأثرم عبد الحميد، المرجع السابق، ص 165.

[35]– مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 37؛ H.Breasted, A.R.E, vol III, para 610, p 260

[36]– أم الخير العقون، المرجع السابق، ص 24.

[37]– مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 37-38؛ البرغوثي، المرجع السابق، ص 95؛ O.Bates, op-cit, p 101.

[38]– مصطفى عبد العليم، المرجع السابق، ص 38؛ O.Bates, op-cit, p 104.

[39]– أم الخير العقون، مظاهر المجتمع و الحضارة الليبية، ص 9.